العربية السعودية

شعبها. ومجتمعها. وثقافتها

عرض : محمود محمود محمد

في عام ١٩٢٩ تالفت في امريكا هيئة للبحث العلمى ملحقة بجامعة ييل ، وتنتمى اليها ست عشرة جامعة امريكية . وتهدف هذه الهيئة « الى جمع المعلومات التى تلقى ضوءا على العلوم الاجتماعية والانسانية ، وتبويب هذه المعلومات وبثها في ارجاء العالم اجمع » . وقد اهتمت هذه الهيئة بصفة خاصة بدراسة المجتمعات وثقافاتها المختلفة والسلوك الاجتماعى لافرادها، وتمكنت بطريقتها العلمية من جمع الحقائق التى تتعلق بنحو مائتى شعب من شعوب الارض .

ثم شرعت هذه الهيئة العلمية في اخراج سلسلة من الكتب التى تستقى مادتها مما تيسر لها من المعارف التى وضعتها بين ايدى الباحثين

وحتى عام ١٩٥٩ صدرت من هذه السلسلة اربعة كتب عن بولنده والاردن والعراق والعربية السعودية ـ وهذا هو الكتاب الرابع في المجموعة ، وهو الكتاب الذى نتعرض له في هذا المقال لنقل بعض ما تضمنه عن شعب الجزيرة العربية •

ويتألف الكتاب من اثنين وعشرين فصلا يعالج فيها المؤلفون النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التى تتميز بها البلاد ، وهم يدعمون الرأى بمجموعة من الاحصاءات والمراجع والصور والخرائط يلحقون اكثرها بذيل الكتاب •

وقد قام بتأليف الكتاب جورج لبيسكى يعاونه سبعة آخرون اولهم وعلى راسهم استاذ عربى اسمه مختار عانى •

ولست استطيع بطبيعة الحال ان ابسط كل ما جاء في هذا الكتاب ، ولكنى احب ان اطلع القارىء على بعض الجوانب التى استلفتت نظرى ، واخص منها ما ورد عن الفن والحياة الفكرية ، وعن قيم الحياة وانماطها •

وأود ان اذكر القارىء بان الملاحظات التى يبديها المؤلفون في هذا الكتاب تقف عند حد تطور الشعب العربى حتى عام ١٩٥٩ • ولست بحاجة الى القول بان الحياة الاجتماعية والثقافية والفنية قد نمت وتقدمت كثيرا بعد هذا التاريخ مما يجعل للآراء التى وردت هنا قيمة «تاريخية» اكثر منها « واقعية » ، وهى قد تختلف في كثير من الاحيان عن الصورة الحديثة التى يلمسها الزائر لاول وهلة في الوقت الحاضر ـ وهى على اية حال آراء يتحمل تبعتها اصحابها •

الفن والحياة الفكرية

في هذا الموضوع يقول المؤلفون ان الجزيرة العربية قبل ان تنفتح في السنوات الاخيرة لبلدان الشرق الاوسط وللغرب كانت بعيدة كل البعد عن اليقظة الفكرية التى اتسم بها العالم الاسلامي والعالم العربى بوجه عام • وكانت الحياة الفنية والفكرية في هذه البلاد ضيقة الافق الى حد كبير • ذلك لأن مقومات التعبير الفني والادبى كانت حتى ذلك الحين محدودة جدا ، وكان اكثر الناس يحيون حياة بدوية لا تسمح بابداع الفنون التي تقتضى حياة الثبات والاستقرار • كما ان الفقر والامية والقلاقل السياسية التى سادت البلاد لفترة تقرب من ألف عام كانت من العوامل التى لا تشجع الانتاج الفكرى •

ومن المعروف ان العرب في فجر الاسلام قد اتصلوا من خلال غزواتهم بثقافات اخرى غنية كانت قائمة في بيزنطة وبلاد فارس وغيرهما ، الا انهم لم يواصلوا هذا الاحتكاك الثقافى فيما لحق من تاريخهم • وبعد زوال الدولة الاموية في دمشق وانتقال الخلافة الى بغداد تحت حكم العباسيين انحصرت اهمية الجزيرة العربية في وجود الحرمين الشريفين فوق ارضها ، وعادت الجزيرة الى انماط الحياة القديمة التى بقيت كما هى في معظم نواحيها حتى العصر الحديث • ولولا الحركة الوهابية والاحتكاك بالحجاج القادمين من مختلف الاقطار وبالتجار الاجانب لما حدث في الجزيرة تطور يذكر في حياتها الفكرية •

كان الناس هنا حتى الحرب العالمية الثانية يمقتون حياة الترف والتظاهر بالثراء ولما ظهرت طبقة من الاغنياء بعد ذلك تميل الى حياة الحضارة والاستمتاع بثمراتها تبدلت الآراء القديمة التى كانت تحب أن يبقى القديم على قدمه ، ونشأت المدن واقيمت العمائر الحديثة الى جوار الطرز القديمة . واثثت المنازل باحدث ما انتجت الحضارة الغربية ، وعلى الرغم من ان اصحاب الحرف ومهندسى العمارة كانوا من الاجانب عادة فان الاقبال على الاخذ بهذه الحضارة والانفاق في سبيلها كان حافزا لابناء البلاد انفسهم على بذل جهود فنية تستحق التقدير • كما كان لوجود شركة أرامكو في الشرق اثر في تدريب ابناء الشعب على فنون البناء والمهارة في التصميم ، الا ان هذا التكوين الفنى لافراد من الشعب يتضاءل امام اغراق الاسواق بالبضائع المستوردة

التعبير الفكرى

يكاد التعبير الفكرى في العربية السعودية يقتصر على الناحية الدينية والتوسع فيها ، ودراسة القرآن الكريم والحديث الشريف • اما ما خلا ذلك من مجالات الفكر فقد ترعرع خارج الجزيرة ولم ينبت فيها •

الا ان انتار الاذاعة فيما بعد كان عاملا من عوامل غزو الثقافة الاجنبية لكل مكان حتى بين البدو الاميين ، وكذلك بدأت دراسة فروع المعرفة الاخرى ، وظهر من بين ابناء البلاد من يتعمقون العلم بمعناه الحديث وهم يحتلون مكانة مرموقة

بين صفوف الشعب، وكذلك بدأت طائفة من الشباب تبحث في التاريخ العربي والتراث الادبى ، كما اخذ بعض علماء الآثار في التنقيب عن المخلفات الحضارية في البلاد ، وشرعت الحكومة في انشاء متحف يضم الكنوز التاريخية القديمة وهى كثيرة ولها قيمة حضارية وبخاصة ما كان منها في شمال الحجاز وفي عسير ٠

وتوافد على البلاد عدد كبير من معلمى المدارس فانتشر التعليم وانشئت الكليات الجامعية في مختلف فروع العلم ، وزاد عدد المبعوثين الى الخارج للدراسة ، كما ان ارامكو ترسل من لدنها عددا من العاملين للتدريب العلمى والفنى ٠ وبذلك تفتحت النوافذ للثقافة الحديثة ٠

التقاليد الادبية

يعد الشعر والنثر الفنى في هذه البلاد ارقى الفنون ، كما هي الحال في جميع انحاء العالم العربى ٠ وللبراعة في استخدام الالفاظ اللغوية قيمة عظمى عند السامعين ٠ ومن المزايا الاجتماعية الكبرى ان تكون للمرء قدرة على التعبير باسلوب جميل ، وللاسلوب الجيد قوة في الاقناع كحجة المنطق ، ولكل بيت من الشعر قيمته الادبية الخاصة به دون النظر الى ارتباطه ببقية ابيات القصيدة ٠ ويكاد ان يكون لكل لفظ قيمة جمالية ذاتية بغض النظر عما يحتويه من معنى ، وفصاحة القول تطغى على وحدة الفكر وتماسك الرأى ، ولا يزال الناس يطربون لرواية الشعر القديم والتغنى به ٠ وتفخر القبائل بالشعراء ورواة القصص من ابنائها ٠

ولم تدخل الاشكال الادبية الحديثة الجزيرة العربية الا في عهد قريب جدا على الرغم من ظهورها في بعض البلدان العربية الاخرى ، وكما بدأ الادب يتطور شكلا كذلك اخذ يتطور موضوعا ، وكان للصحافة اثرها في ذلك وبخاصة لدى نفر من الشباب المجددين ٠٠ وبدأت النوادى الادبية تتكون في المدن الكبرى ، ووجد الكتاب من الشباب مجالا لهم في مجلة « اليمامة » التى تصدر في الرياض وترحب بكل جديد٠

الشعر

الشعر فن من الفنون الشعبية المحببة الى النفوس ، وله تاثيره في طبقات الناس كافة ـ من يعلم منهم ومن لا يعلم ـ في كل بلد من بلدان العالم ، وهو كذلك ـ بطبعة الحال ـ في هذه البلاد ، الا ان وسائل نشره محدودة ، وكثير منه يطبع خارج القطر ٠ ولا تزال اوزان الشعر الجاهلى سائدة بين الشعراء ٠ وللشاعر قدرة ومكانة بين الناس فهو المعبر عن الرأى العام ، وهو في اغلب الاحيان من المقربين لرجال الحكم والسياسة ، ولكلماته تاثير السحر في النفوس ، ولكل شاعر « شيطانه »

كمايقولون، والشعر هوالذى يخلد تاريخالقبائل، وكثيرا مايكون الشاعر منالمحاربين وعندئذ تراه يعبر عنصفات النخوة والمروءة والشجاعة والولاء وعزة النفس والكرم والجود ـ وهى من الصفات المثالية عند العرب ، ونستطيع ان نؤلف من شذرات القصائد التى وصلت الينا من العصر الجاهلى ملحمة وطنية عربية .

وكان العرب في جاهليتهم يقيمون للشعر سوقا في عكاظ بالقرب من مكة ، وذلك فيالاشهر الحرم التى يوقف فيها القتال ويتجمع فيها الناس لتبادل الراى وللاغراض التجارية . والمعروف ان « المعلقات » التى علقت على جدران الكعبة هى من تراث هذه الحقبة التاريخية .

وتستطيع ان تقول ان « السجع » و « الرجز » هما كذلك من الفنون الشعرية وقد بقيت القصيدة في اقطار العالم العربى كافة هى الشكل الذى يفرغ فيه الشاعر شعره ، وهو يضمن الشعر في كثير من الاحيان الحكمة البالغة يصوغها في قليل من اللفظ المحكم . والقصيدة تلتزم عادة بالوزن والقافية ، وتمجد الحب والقتال والرجولة ، ولم تظهر القصائد الدينية الا بعد ما استقرت روح الاسلام في النفوس والقصيدة بناء مهلهل ، كل بيت فيها وحدة عضوية قائمة بذاتها ، ومن ثم سهل الاقتباس والاستشهاد بابيات الشعر منتزعة من قصائدها .

ومن موضوعات القصائد : المدح والهجاء والرثاء الذى عرفت به خاصة بعض النساء العربيات الشاعرات .

وعلى الرغم من ان « القصيدة » شكل من الاشكال الادبية التى تلائم الحياة القبلية فقد بقيت الى اليوم الصيغة الشعرية السائدة في الجزيرة العربية مع تطور الحياة فيها .

ومن الموضوعات الشعرية التى ظهرت في مكة بعد الاسلام « الحب العذرى » ، وبعد وفاة الرسول عليه السلام بنحو ثلاثة قرون بدأ جمع الشعر في دواوين مثل « المعلقات » و « ديوان الحماسة » و « المفضليات » ، وما عتمت هذه الدواوين من المصادر الهامة للشعر القديم .

وقد ظهر في العصر الحديث كما قلنا في الجزيرة العربية شعراء مجددون اخذوا بالقوالب المستحدثه الجديدة ، وعلى الرغم مما يلاقون احيانا من تشجيع فان شعرهم لا يلقى من اعجاب الجماهير ما يلقاه الشعر الذى يصاغ على الاوزان القديمة .

وهناك الى جانب هذه القصائد الادبية الشعر الشعبى الذى ينشده سكان

الصحراء والريف ، وقد يجد سبيله احيانا الى المطبعة فينشر في كتب او دواوين ، ويصور هذا الشعر الحياة اليومية للبدو والقيم المثالية التى يمجدونها ، وقلما يعالج موضوعات اشمل من ذلك وأعم . وبعضه فكاهى او ماجن ،

ولا يزال للشعراء دورهم التاريخى ، يصورون الرأى العام ، بل ويشكلونه ، ويرفعون او يخفضون من اقدار الناس ، ولذلك فهم اما اصدقاء اوفياء واما خصوم الداء .

النثر

كان كتاب النثر العربى قبل القرن العشرين يلتزمون السجع فيما يكتبون ، اما الحديث الذى تنطلق فيه العبارة بغير قيد من قافية معينة فلم يكن له وجود ، ولم يعرف الادب العربى « الرواية » و « المقالة » و « المسرحية » الا في العصر الحديث ولما اخذ الادباء بهذه الاشكال الجديدة وجدوا مجالهم في الصحافة ، ولم ترتبط موضوعاتهم بجذور لها في ماضى الامة وتاريخها السحيق .

وليس من شك في ان القرآن الكريم كان له ببلاغته واعجازه اثر كبير في جميع الكتاب ، وهو حجة النحويين واللغويين .

وبقى النثر في الجزيرة العربية اداة التعبير عن الاغراض القديمة ، ولم يتسع بعد للتعبير عن العلوم الحديثه ، غير ان بعض الكتاب المحدثين قد شرع فعلا في تاليف الكتب في شتى فروع العلم بنثر سلس طلق العبارة ، وان ظلت للقصائد القديمة مكانتها في البيوت العريقة وفي المناسبات الدينية ، كما ان حفظ القرآن كله او اجزاء منه مطلب يسعى الى تحقيقه الآباء لابنائهم لكى يحظوا بتقدير المجتمع .

بيد أن ابناء البدو والريف لا يزالون محرومين الى حد كبير من الانتاج الادبى في الحضر ، ولا يتداولون الا الادب الشعبى الذى يتالف من القصص والامثال نثرا ونظما . وهناك رواة القصص المحترفون الذين يمارسون الرواية وبخاصة في شهر رمضان المعظم ويحظون بجمهور كبير من المستمعين ، وهم حفظة ثروة ادبية ضخمة من الادب العربى القديم .

الفنون المرئية

يتميز الفن في السعودية ــ وفي الشرق الاوسط بوجه عام ــ بالرسوم الزخرفية

التى تعتمد على الزهور وعلى الاشكال الهندسية وعلى الخط العربى المنمق ، وذلك في اعمال الفسيفساء والزينات الملونه ، ولا تجد هنا اثرا لفن النحت الذى يحرمه الدين لازالة كل آثار الجاهلية من ناحية والاوثان التى كانوا يعبدونها قبل الاسلام واتباعا للتعاليم الوهابية من ناحية اخرى . كما ان فن التصوير لم يزدهر في هذه البلاد . وان كان الشباب الحديث الذى تاثر بالتيارات الغربية قد شرع في التعبير بهذا الفن ، ولا تزال الفنون التشكيلية في القرى قاصرة على بعض الحرف اليدوية .

ولم تبلغ العربية السعودية في الفنون الزخرفية مابلغته بعض دول الشرق الاوسط الاخرى ، كالطلاء بالمينا وصناعة الخزف والزجاج وتشكيل الاحجار ونحت الخشب والاشغال المعدنية ورسم المناظر الطبيعية وفنون الخط وتجليد الكتب .

الا ان كثيرا من السعوديين يزينون بيوتهم ببعض هذه الاعمال الفنية ، كما ان المنازل الحديثة والمساجد قد أخذت تحذو حذو نظائرها في الشرق الاوسط ، وتفيد من اعمال الفنانين والخطاطين في تجميل المبانى

الحرف

لم تزدهر في السعودية كما ازدهرت في بلاد الشرق الاوسط الاخرى الحرف المعروفة في هذه المنطقة : كصياغة الذهب والفضة والمجوهرات ، والتطعيم ، وصناعة السجاد ، والتطريز (ماعدا ما نجده في العباءات) ، والقليل من الحرف التى تمارس في السعودية يتركز في الاغلب في المنطقة الشرقية ، واكثر الحرفيين من الشيعة ، وهم يقابلون منافسة شديدة من السلع المستوردة . ولكن فنونهم على الرغم من ذلك لا زالت قائمة .

فن العمارة

اكثر المبانى القديمة بيضاء او بنية اللون ، سقوفها مسطحة ، وهى اشبه بالقلاع في مظهرها ، وبجدرانها شرفات يمكن اطلاق النار منها ، ولا يرتاح الوهابيون لبناء المآذن التى تتميز بها المساجد عادة في جميع ارجاء العالم الاسلامي ، كما انهم قاموا بهدم القباب ، التى تعلو المقابر . ومما هو جدير بالذكر ان فن العمارة في السعودية لم يتاثر بالفن الفارسى او الهلينى كما تلمس ذلك في آثار اليمن والبتراء والمقابر النبطية في شمال الحجاز . ان فن العمارة في السعودية بسيط عملى .

وفي هذا الاطار العام نلمس اليوم شيئا من الخلاف بين المدن المختلفة ، ويرجع

هذا الخلاف الى التاثير المناخي والجغرافي ، والى تاثير الاتراك والامريكان في الحجاز والمنطقة الشرقية ، والتاثير الافريقى في عسير .

ومع التقدم الحديث في السعودية بدأت انماط جديدة من العمارة في الظهور ، وفي كثير من احياء جدة والرياض ازيلت المبانى القديمة لتحل محلها مبان على الطراز الحديث ، وانك لتلمس في مبانى الحكومة والمطارات وبيوت الاثرياء اثر الفن المعمارى الاجنبي . وقد مكنت الثروة المتزايدة في السعودية لابناء البلاد من الافادة من التكنولوجيا والاراء الحديثة ، وكان لذلك اثره في فن العمارة السعودى وفي اوجه التعبير الفنى الاخرى في انحاء البلاد كافة .

القيم وانماط العيش

هناك قيم اجتماعية عامة تلمسها في كل الصلات الاجتماعية بين الناس في العربية السعودية ، والالتزام بهذه القيم امر لا تعرفه البلاد الصناعية ، لان مجال الاختيار امام الفرد هنا ضيق جدا ، ومن يحاول ان يخالف التقاليد يقابل باستياء شديد .

بيد أن هذه القيم العتيدة قد أخذت تهتز من اثر الثراء الذى تدفق على البلاد ، واختفاء المنافسة الشديدة بين القبائل ، وتسلل الثقافة الغربية ، غير ان التقاليد لا تزال تراعى في جملتها ، وقد حلت السيارات محل الابل ، ومضخات الماء محل ظهور الحمير في نقل المياه، والاحذية محل الصنادل ـ غير ان هذه التغيرات في شئون الحياة المادية لا تغير أساسا من الطابع المميز للسلوك العربى والعقائد السائدة ، فما برح الناس في العربية السعودية على الرغم من تطور الحياة بعد الكشف عن البترول في الصحراء ورثة التقاليد التى فرضتها عليهم العزلة الجغرافية والحماسة للدين .

التوجيه الخلقى

هناك في نسيج الحياة العربية التقليدية عوامل بارزة تحدد الاهداف التي يبتغيها الناس والوسائل الملائمة لتحقيق وجودهم الاجتماعى ، وهذه العوامل هى : الاسلام، والاسرة العربية ، والحريم ، ومعنى الرجولة ، واليكم كلمة عن كل منها بشىء من التفصيل :

الاسلام : المبدأ الاساسى الذى مازال المجتمع السعودى يضعه على رأس القيم الاجتماعية وهو الخضوع لارادة الله القادر على كل شىء . كل عربى يلتزم

بالصلوات الخمس كل يوم ، وبالصيام في شهر رمضان ، وبالاحسان للفقير • ولا يزال القران الكريم والحديث الشريف اهم مواد الدراسة في المدارس وموضوعات البحث عند العلماء كما كانت الحال منذ اكثر من الف عام •

كل شيء بيد الله ، ما كان وما يكون من امور الدنيا والناس ، وكل شيء بمشيئة الله ، وليس على المرء الا ان يسعى ، هذه هي المبادىء التى تتخلل كل العلاقات الاجتماعية بين الناس •

والناس هنا يحترمون شعائر الدين ويؤدون الصلاة بايمان عميق • وعلاقة المرء بربه تسبق علاقته باهله واخوانه • وكل ما يقوم به المرء من عمل يقوم على اساس الثواب والعقاب في الحياة الاخرة ، وما تفعل من خير تلق جزاءه عند الله •

الاسرة : يعرف العربى بالاسرة التي ينتمي اليها • والمرء ـ مهما كانت قدراته ـ اذا كان لا يجد سندا له من اسرة لها قدرها لا يحتل مكانة مرموقة في المجتمع ، ومن ثم كان ولاء الشخص لاسرته وواجبه ازاءها اعظم من اى واجب آخر ، والواجبات العائلية تمتد ـ ولو بصورة مخففة ـ الى الذرية والقبيلة ، والفرد اذا اغترب بحث عن ابناء قبيلته ، وهؤلاء يؤوونه ويعاونونه •

والشرف من الشئون العائلية الى حد كبير ، وهو يقوم اساسا على اتصاف الشخص بالشجاعة والاستقامة والامانة والكرم وعلى مدى قيمة اعضاء الاسرة او القبيلة من الذكور • اما الخزى والعار فمرده في الاغلب الى سوء سلوك النساء ، ومن شرف الاسرة عفة المرأة قبل الزواج وتعففها بعد الزواج •

وكل فرد من افراد الاسرة مسئول عن راحة الافراد الآخرين ، الاخ يهتم باخته حتى بعد زواجها ، وبخاصة ان كان نصيبها في زوج غير كفء لها ، واتصال الاخ باخيه قوى متين ، والصغير يرعى الكبير ، بل ويتبرك بوجوده في البيت •

وقد انعكست صورة العلاقة الاسرية هذه على جماعات لا يربطها رابط من دم ونضرب لذلك مثلا حركة « الاخوان » ، وهى تنطوى على ادماج المثل الدينية العليا في الروابط الابوية البنوية ، ومن المالوف في الجزيرة العربية قيام الصداقات بين الشباب من ابناء القبيلة الواحدة وان اختلفت اسراتهم ، وهى صداقات كثيرا ما تبقى ما بقيت الحياة •

مجتمع الرجال : العربية السعودية مجتمع الذكور ، والرجال قوامون على

النساء ، الرجل هو المسئول في المجتمع ، ويجب ان يتصف بالجرأة والشجاعة ، ومن المفهوم ان المجتمع يخل اذا اختفى منه الرجال اصحاب الامر والنهى •

والوالد يسمى «بابى فلان» والوالدة « بام فلان » ، وفلان هذا هو اكبر الذكور من الابناء •

وشرف الاسرة ينحدر من الوالد الى الولد ، وعلى الولد الابقاء على هذا الشرف والابن الاكبر مسئول عن شئون الاسرة بعد ابيه ويمثلها في حالة غيابه في جميع المواقف ، وقد تستشار المرأة وبخاصة في شئون البيت والاطفال ، ولكن على الرجل وحده يقع عبء اتخاذ القرار النهائي •

الحريم : المجتمع العربى يميز تمييزا دقيقا بين ما هو عام وما هو خاص من شئون الحياة • وهذا التقسيم يراعى في جميع الظروف ، فبيت الرجل وما يجرى فيه من الشئون الخاصة•وحتى الخيمة تجد فيها اعدادا لاستقبال الرجال بعيدا عنالنساء

والنساء ينتمين الى الحياة الخاصة ، وتبادل الزيارة أمر مالوف ، ولكن بين الرجال للرجال وبين النساء للنساء ، واذا ظهرت المرأة في المجتمع فلا بد ان تكون محجبة ومعها من يرافقها من اعضاء البيت ، ويفضل ان يكون من ابنائها •

والحجاب امام الغرباء واجب في المدن ، ويكون ذلك خارج البيت ، بل احيانا في داخله كذلك ، وقد تغالي المرأة في تحجبها فتسدل القناع على وجهها في حضرة شقيق زوجها ، اما البدويات فلا يتحجبن الا امام الغرباء ، وهن يؤثرن الابتعاد عنهم في اكثر الاحيان •

ولما كان الجود من الصفات الحميدة في الصحراء فان الزوجة البدوية قد تستقبل الغريب في غيبة زوجها ، ولكنها سرعان ما تنزوى في مكانها المخصص لها في الخيمة عندما يحضر الزوج • اما العجائز من النساء ممن بلغن سن اليأس فلسن بحاجة الى كل هذا الحذر •

وليس للغريب ان يتدخل في امور الزواج او الامور المتعلقه بنساء اسرة غير اسرته ، فهذه من الشئون التى لا يتحدث فيها الا اعضاء الاسرة المقربون • ولكن من حق الصديق ان يفخر بالصفات الحميدة التى تتخلى بها النساء من اسرته او من غيرها من الاسر •

العلاقات الاجتماعية : الحياة عند العرب تتصف بوجه عام بالتماسك بين اعضاء المجتمع ، ومن ثم كان العمل المنفرد امر لا يستوجب الاعجاب ، وانسلاخ الزميل عن زملائه طامة كبرى ، فالحياة ليس لها معنى الامع تبادل المودة بين الافراد ، والعلاقات الاجتماعية لا تكون مقبولة الا على اساس من الاعتزاز بالنفس والاتصاف بالجود والكرم ومراعاة شعور الاخرين ، وحب العدل ، والائتناس بالصديق .

الجود والكرم : ربما كان الكرم رأس الفضائل عند العرب . وما اكثر ما يروى عنه في القصص الشعبى وما ينظم عنه في قصائد الشعر ، تسمع عن الرجل الفقير يستضيف رجلا عظيما ويكرمه بآخر لقمة من طعامه او باعز ما يملك في بيته ، ومن الامتهان للفرد الا يقوم الغريب العابر بزيارته ولو قليلا من الوقت ، والمشاركة في الطعام مما يوطد اواصر الصداقة فتراهم يقولون « تناولنا الملح معا » ، واذا كان المضيف فقيرا يعوزه الطعام في بيته تعاون معه الجيران في امداده بما يكفى لاكرام الضيف ،

ومن اداب المائدة ان يكف الضيف عن الاكل والطعام المعروض لا يزال وافرا ، وعليه الا يطيل الزيارة اكثر من ثلاثة ايام مهما ألحف عليه المضيف بالبقاء ، وقد يقدم المضيف له هدية عند مغادرته البيت ، وعليه الا يرد الجميل في الحال ، وانما يرد الهدية في مناسبة اخرى .

والبخل من اسوأ ما يوصف به الانسان ، فالبخيل لا يجد له صديقا والكرم من افضل الصفات ، فالله « كريم » ، والقرآن « كريم » .

والكريم لا بد ان يفيض من كرمه على غيره من الناس ، يقدم الهدايا بين الحين والحين لاهله وأصدقائه وتابعيه ، والفقير يشكر للكريم فضله عليه ، بل ان التاجر ليتوقع من الرجل الثرى ان يدفع له ثمن الشراء في سخاء ، وليس معنى الكرم الجود بالمال فحسب ، بل انه ليتمثل ايضا في مساعدة الآخرين ، وفي عطاء الوقت للصديق وفي الثناء على الازواج لدى الاصهار ، وفي ايجاد عمل لمن هو في حاجة اليه .

والاسلام يوصى باعطاء الصدقات وبخاصة في المواسم والمناسبات الدينية ، وليس على المعطى ان يتحقق من استحقاق السائل .

المشاركة في الوجدان : ويتصل بالكرم المشاركة في الوجدان ، فهى من الصفات الحميدة التى يتغنى بها الشعراء ، لا بد من المواساة عندما تحقيق بغيرك الملمات ، وكثيرا ما كان الملك ابن سعود يكرر القول المعروف : « أحب ابنائى آلى : المريض حتى يشفى ، والصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يحضر » ومن الزراية بالمريض الا تعوده في مرضه .

وتتخذ هذه المشاركة الوجدانية صورة خفية اخرى ، فعليك ان تعين المحتاج قبل ان يمد اليك يده ، والحق لا يذكر اذا كان يؤذى السامع او يحزنه ، ومن الخير دائما ألا تنقل الأنباء السيئة .

العدالة : ربما شهدت في السعودية رجلا يتقاضى تعويضا كبيرا عن اساءة طفيفة وآخر ينال عقوبة شديدة على مخالفة يسيرة ، وقد يبدو لك ذلك منافيا للعدالة ، وبمعايير اهل الغرب قد تحسب العقوبة صارمة احيانا وخفيفة احيانا اخرى ، ولكنا يجب ان نذكر ان معايير الحكم تمثل ثقافة الشعب ، ومن ثقافة الشعب العربى الاعتداء بالمثل ، العين بالعين والسن بالسن ، والعقوبة ترتبط بطبيعة الجريمة ، فالسارق تقطع يده ، وسائق السيارة الذى يهمل قواعد المرور فيصيب غيره بالاذى ، يقضى في السجن فترة تتساوى مع الفترة التى يقضيها المصاب حتى يشفى تماما ، اما في حالات الاصابات او الوفاة التى تاتى عن غير قصد فالتعويض يكون بالمال او بالماشية .

ويجب حماية الضعيف والمسكين من جشع الغني وضراوة القوى ، وهذه مسئولية الشيخ وموظف الحكومة ، واذا كان بينك وبين غيرك تعاقد فحق الانسان كانسان اكثر اهمية من شروط التعاقد ، واذا كان المحصول الزراعى ضعيفا فللمستاجر نصيب اوفر مما كان عليه الاتفاق لكى يقابل نفقات اسرته غير ان تطور نظام الحكم في السعودية وتحديثه وتقدمه يقتضى المزيد من الالتزام بشروط التعاقد .

وفي المجتمعات البدوية يكون للتحكيم غير الرسمي في المنازعات شان كبير ، والحكم في اغلب الاحيان من كبار السن الموقرين المعروفين بالعدالة وبالقدرة على فض المشكلات ، وكثيرا ما يؤثر طرفا النزاع هذا النوع من التحكيم على ما يقضى به موظف الحكومة او القاضى الشرعي . والحكم بدوره يحاول ان يجد حلا يرضى به الطرفان ويقبله المجتمع .

والبينة في المحاكم على من ادعى ولا تكون على المدعى عليه ، وكثيرا ما يكمن الحق في موقف وسط بين الادعاء والانكار . وبعد ان يستمع القاضى الى الشهود يصدر قراره بناء على السوابق ، وللقضاة عند اختلاف الثقاة حق الاجتهاد .

المبالغة : السعودى بطبعه يؤثر الاطناب على الايجاز ، ويجب الاستشهاد بالشعر وبقدرة الله ، وفي كثير من مواقف الحياة ، مثل استقبال الضيف ، والتهنئة بالميلاد ، وبكاء المرأة على فقيد عزيز ، تلمس الاستطالة والاستفاضة ، وافتخار المرء بقدراته وتجاربه واصدقائه من الامور المالوفة ، والعربى لا يقر بضعف في نفسه ، ولكن ينفق الساعات الطوال منددا باخطاء خصم من خصومه ، ومن الشائع في الشرق الاوسط

كله بذل الجهد والوقت الطويل في الحط من شأن الرجل الذى يشغل منصبا رياسيا ـ الا أن كان ذا فضل على المتحدث ٠

وقد يحط العربى احيانا من قدر نفسه احتراما لضيف او رئيس ، وهو في هذه الحالة يندب حظه من الدنيا ولا ينسب قصوره الى نقص في كفايته ٠ وكثيرا ما يبالغ في التحدث عن مشكلاته الشخصية او العائلية لكى يكتسب بذلك عطف السامعين ويرد عن نفسه عين الحاسدين وغيرة الغيورين ٠

ومن المبالغة عند العربى شهرة التفاؤل بالمستقبل ، وهو حينئذ يرفض كل رأى مخالف ، ويتهم مخالفيه بقصور في المعرفة ويزعم اتصاله بمصادر موثوق في صحتها ٠

وتشد المباريات الرياضية اليوم انتباه الجماهير وبخاصة كرة القدم ٠ كما يقبل الناس على مشاهدة العقوبة بالجلد او بالاعدام بالسيف ، وهى طريقة مشروعة ٠

الانسجام بين افراد المجتمع : لا يبتعد الفرد في السعودية عن اسرته واهله وعشيرته ، ولذلك فرأيهم فيه له وزنه وله قيمته ، فهم يعارضونه اذا انحرف عن مسالكهم ، بل ويعاقبونه على ذلك عند الضرورة ٠

ومع ذلك فالعقيدة السمحاء تسمح بالتفرد وباعتزاز المرء بشخصيته الفذة ٠

ومن يحيد عن القواعد الخلقية المرعية بوجه عام يتعرض للسخط الشديد ، وتنبذه الجماعة ٠

محمود محمود محمد